حاضر العالم الإسلامي

محاضرة رقم (١٢)

قضايا الأقليات المسلمة في آسيا
المسلمون في الاتحاد السوفيتي

- **المسلمون في الاتحاد السوفييتي**

- إن ما يسمى اليوم بالاتحاد السوفييتي هو أوسع بلاد العالم مساحة ، إذ تبلغ مساحته ٢٢,٤ مليون كم^{٢} أي سدس مساحة اليابسة موزعة على قارتي آسيا وأوروبا ، فهو يشمل ثلث مساحة قارة آسيا ونصف مساحة أوروبا .وأما روسيا الأصلية : فهي تلك المنطقة التي تقع في الركن الشمالي الشرقي من أوربا والتي سكنها الشعب الروسي من الشعب السلافي وكانوا ثلاثة أقسام :

- أ- الروس الكبار : وانتشروا حول موسكو وهي مركزهم .

- ب- الاوكران : وانتشروا في الجنوب الغربي حول مدينة كييف حاضرتهم .ج- الروس البيض : وانتشروا في الغرب وحاضرتهم متسك .

- ويتكون الإتحاد السوفييتي الحالي من خمس عشرة جمهورية فيها ست جمهوريات يشكل المسلمون أغلب سكانها (وقد نالت هذه الدول الست استقلالها وأصبحت ذات سيادة ليست لها علاقة بالاتحاد السوفيتي ويضم البلدان التالية :

- ١- روسيا الأصلية وهي زعيمة الإتحاد والمتسلطة عليه .

- ٢- سيبيريا وتتبع جمهورية روسيا .

- ٣- بلاد حوض الفلغة .

- ٤- شبه جزيرة القرم .

- ٥- بلاد القفقاس .

- ٦- تركستان الغربية .

- وجميع هذه البلدان دخلها الإسلام ، وكونت جزءا من دار الإسلام بعضها من القرن الأول الهجري ، وبعضها بعد ذلك بكثير . وأما الأقاليم النصرانية التي شملها التوسع الروسي فضئيلة المساحة فقيرة الموارد وهي :

- روسيا البيضاء ، وأوكرانيا ، وأستونيا ، ولاتفيا ، ولتوانيا، وملدافيا . وفيما يلي نبذة عن دخول الإسلام إلى هذه البلدان :

- **دخول الإسلام إلى روسيا الأوروبية وحوض الفلغة :**

- انتشر الإسلام في روسيا الأوروبية في فترتين زمنيتين :

- ١- على يد البلغار في القرن الرابع الهجري الذين اعتنقوا الإسلام على يد الدعاة والتجار المسلمين الذين كانوا يتاجرون في الفراء وسائر السلع التي كانوا يحصلون عليها من البلاد الشمالية . وقد أرسل إليهم الخليفة المقتدر العباسي ٢٩٥ – ٣٢٠ هـ ٩٠٨ – ٩٣٢ م قائده

- أحمد بن عباس ، ويعرف بابن فضلان ، ليقوم على تثبيتهم على الدين ، وتعليمهم مبادئ الإسلام وشعائره . ويعد ابن فضلان من أوائل الرحالة الجغرافيين المسلمين إلى تلك الديار ، وقد وصف تلك الرحلة بعد عودته وصفا دقيقا تعد من المصادر الأولى في تاريخ وجغرافية روسيا – وقد وصف الروس بأنهم : " أمة همجية ، شقر الشعور ، زرق العيون ، قباح الوجه ، أهل غدر ، وأقذر الأمم ، وأنهم أشر خلق الله – ضخام الأجسام ، مستهترون بالخمر يشربونها ليلا ونهارا ، انهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ، ولا يغتسلون من جنابة " . وكذلك وصفهم من بعده : ابن رستة والمسعودي وابن بطوطة .

- ولم يستطع البلغار جذب الروس الوثنيين إلى الإسلام ، لأنهم لم يقيموا مجتمعهم على أساس الإسلام فبقوا متأخرين . ولذلك اختار الروس بزعامة فلاديمير النصرانية على المذهب الأرثوذكسي عام ١٩٨٨ م .

- على يد التتار : من القبيلة الذهبية التي أسسها جوجي بن جنكيز خان ، وأسلم أميرها بركة خان (٦٥٤ - ٦٦٥ هـ) ١٢٥٦ – ١٢٦٧ م ، فأصبح حوض الفلغة بأكمله إسلاميا ، وحاضرته مدينة **السرا** على ضفاف الفلغة .وظهر من هذه الأسرة **محمد أوزبك** (٧١٣ – ٧٤١ هـ) ١٣١٣ – ١٣٤٠ م الذي اشتهر بحماسه لنشر الإسلام بين الآهلين ، وامتدت دولته من شمال بحر آرال إلى مصب الفولغة مع امتداد إلى الغرب حتى بلاد القرم . فوطد أركان الإسلام في البلاد التي كانت تحت سلطانه ، ويقال إنه وضع خطة لنشر الإسلام في جميع أرجاء روسيا ولكنها لم تنجح ، وأظهر التسامح العجيب مع النصارى ورجال دينهم مالا شبيه له () . (إلا من مسلم طبعا) . يظهر ذلك في العهد الذي منحه للمطران بطرس عام ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م ، الأمر الذي جعل البابا يوحنا الثاني .

- والعشرون يرسل له عام ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م يشكره على ما أظهر من عطف على رعاياه النصارى ، فبقيت النصرانية الدين القومي للشعب الروسي . ويؤدي الجزية للمسلمين .

- وقد زار ابن بطوطة البلاد وذكر محمد أوزبك فقال عنه : " وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة ، كبير الشأن ، رفيع المكانة ، قاهر لأعداء الله ، أهل قسطنطينية العظمى ، مجتهد في جهادهم ، وبلاده متسعة ، ومدنه عظيمة منها الكفا ، والقرم ، والماجر ، وأوراق ، وسرداق ، وخوارزم . وحاضرته السرا ، وهو أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا وعظماؤها .

- وكانت إمارتا موسكو وكييف النصرانيتين تدفعان الجزية للتتار المسلمين . وعلى ذلك فكان في روسيا ثلاث ديانات :الإسلام والنصرانية والوثنية .

- تجزأت دولة التتار الواسعة وتحللت القبيلة الذهبية عام ٨١٣ هـ أي قبل فتح القسطنطينية بأقل من ربع قرن ، وظهر على أنقاضها في روسيا ثلاث دويلات هي : خانات القرم ، والقازان ، والاستراخان وأخذت المناطق الخاضعة تتمرد عليها بالانفصال ، فاستقلت إمارة موسكو ورفضت دفع الجزية عام ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م ، وأسست دولة قوية بزعامة إيفان الثالث (٨٦٧ هـ.

• استطاعت الدولة البيزنطية التي وقفت في وجه الإسلام فترة طويلة أن تثير في الصقالبة الروس الروح الصليبية ، للانتقام من التتار المسلمين إخوان العثمانيين الذين هددوا بيزنطة ثم قضوا عليها نهائيا عام ١٤٥٣ م / ٨٥٧ هـ . فأعلن إيفان الثالث الحرب الصليبية واعتبر موسكو وارثة للإمبراطورية البيزنطية وتمكن من هزيمة أحمد خان سلطان قازان مستغلا انقسام مملكة بركة خان المغولي إلى ثلاث دويلات هي القرم وقازان واستراخان .

• وقام البابا يحث فاسيلي الثالث أمير موسكو بإشعال حرب مقدسة ضد المسلمين ، ولكن فاسيلي ترك هذه المهمة لولده إيفان الرابع ، الذي سمي (بالرهيب) ، بسبب ما ألحق بالمسلمين من قتل وذبح وأذى بتوجيه البابا . وقام بغزو الأقاليم الإسلامية في روسيا فاحتل خانية قازان الإسلامية التي كانت مركزا لحضارة إسلامية عريقة زاهرة عام ٩٦٠ هـ / ١٥٥٢ م وضمها إلى دولته ، فكانت أول البلاد الإسلامية التي وقعت تحت براثن الاستعمار الروسي بعد ستين سنة من سقوط غرناطة في الأندلس . واتبعها في العام نفسه أرض الجوفاش وبلاد ماري وموردوف ، ثم دخل مدينة أوفا عاصمة بشكيريا عام ٩٦٣ هـ / ١٥٥٥ م ، كما احتل خانية إستراخان (الحاج طرخان) وضمها عام ٩٦٥ هـ / ١٥٥٧ م ، واستولى على بلاد الإدمورث عام ٩٦٨ هـ / ١٥٦٠ م.

• ولا تزال آثار الماضي الإسلامي ماثلة في عدد من الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتي ، والتي ترتبط بمدينة موسكو وهي :

• **١- جمهورية باشكيريا :** إحدى الجمهوريات السوفيتية ، تحكم ذاتيا ، وتقع في جنوب جبال الأورال ، وتنتسب إلى شعب الباشكير أحد الشعوب التركية ، وصلها الإسلام مبكرا في العصر العباسي الأول ، ويعتنقون جميعا الإسلام وأغلبهم أحناف، وقد قام الباشكير بدور هام في نشر الإسلام بين الشعوب المجاورة بسبب موقعهم المتوسط بين قارتي آسيا وأوربا . ومساحة هذه الجمهورية ١٤٣٦٠٠ كم٢ ، وعدد سكانها حوالي ٤ ملايين نسمة عام ١٤٠٢ هـ . ٦٠ % منهم مسلمون ، رغم هجرة الكثير من الروس إليها بسبب غناها ، وتهجير الباشكير خارج ديارهم . وقد عمل الروس على زعزعة عقيدتهم فقاموا بعدة ثورات أشهرها عام ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م ، على إثر عدة قوانين ترغم السكان على التحول إلى النصرانية .

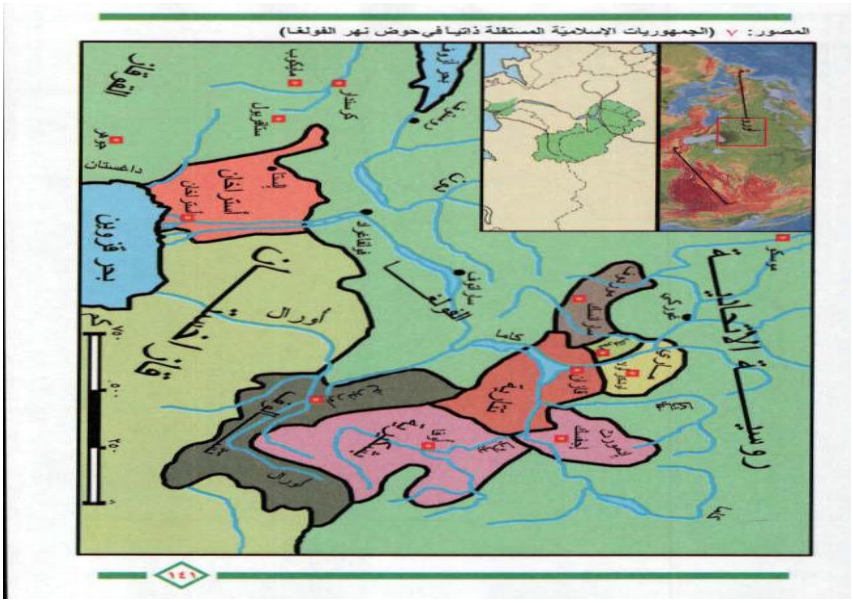

➢ فقاوم الباشكير ونشطوا في الدعوة سرا وأسلمت على أيديهم بعض القبائل ، وبقيت الباشكير إسلامية فقد وجد فيها عام ١٣١٥ هـ ١٥٥٥ مسجدا و ٦٢٢٠ مدرسة إسلامية ، وكانت صلاتها ببلاد الإسلام كبيرة فمنهم علم الدين الباشكيري نائب السلطان قلاوون في سوريا كما جند المماليك عددا منهم ، وظلوا على علاقة بالدولة العثمانية.

➢ وأنشئت جمهورية باشكيريا في ظل الشيوعية عام ١٣٣٨ هـ / ١٩١٩ م ، فدخل الباشكير المسلمون مرحلة جديدة من التحدي ، فهدم العديد من المساجد وألغيت المدارس الإسلامية ، فتحدوا ذلك وأصبحت أوفا عاصمتهم مركزا يلتقي فيه المسلمون في روسيا ، ومقرا للإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي من الإتحاد السوفييتي ومسلمي سيبيريا منذ سنة ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٣م.

➢ **جمهورية تتاريا :** إحدى الجمهوريات السوفيتية في حوض الفلغة شرقي روسيا الأوروبية على حدود باشكيريا .

➢ وتبلغ مساحتها ٦٨٠٠٠ كم^{٢} ، وسكانها حوالي ٤ ملايين نسمة ، وتزيد نسبة المسلمين فيها على ٦٥ % على الرغم من كثرة الروس المستوطنين ، وتنتسب لشعب التتار المسلم الذين نقلوا الإسلام إلى شمال أوربا فوصلت الدعوة بجهودهم إلى روسيا الأوروبية وفنلندا وبولندة وشبه جزيرة إسكندنافيا عامة .

➢ احتلها إيفان عام ٩٦٠ هـ / ١٥٥٢م وأجلى أهلها عن قازان العاصمة ليحل محلهم الروس ، ولكنهم تمسكوا بعقيدتهم وصمدوا لتحدي قياصرة روسيا طيلة أربعة قرون ، فضربوا مثلا رائعا في الصمود للتحديات والاعتزاز بالإسلام ، ولا يزال هذا الشعب رغم تشتته في أنحاء مختلفة يمثل الإسلام دين الأغلبية في جمهورية تتاريا رغم تهجير كثير من الروس إليها .

➢ وقد كانت قازان العاصمة ذات جامعة إسلامية بها سبعة آلاف طالب في مستهل القرن العشرين ، ومطابع تخصصت بطباعة المصاحف ، والكتب الدينية وكان فيها مدارس ومكتبات إسلامية ، وكان دورها الإسلامي يزيد على دور دمشق والقاهرة واستانبول ، وقد حافظت على طابعها هذا حتى بعد الثورة الشيوعية ، وكانت ترسل الدعاة إلى مختلف البلاد الخاضعة لروسيا القيصرية وخاصة إلى سيبريا ، وخاصة بعد قانون حرية التدين في روسيا ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م .

➢ وبعد أن استولى السوفييت على الحكم واجه التتار حربا قاسية على معتقداتهم ، فأغلقت المدارس الإسلامية ، ودمرت المكتبات والمطابع الإسلامية في قازان ، فواجهوا ذلك بالتحدي ، وقدموا العديد من الشهداء ، حتى أولئك الذين تعاونوا مع الشيوعيين في البداية مثل سلطان علي أوغلي (عالياف) الذي نادي بتوحيد المسلمين في روسيا في كيان دولة واحدة تتحد مع السوفييت.

➢ ويعتبر النفط من أهم موارد جمهورية تتاريا ويستخرج من **حوض كاما** الذي أطلق عليه اسم : باكو الجديدة .

➢ **٣- جمهورية الجوفاش** (تشوفانيا) : وتقع في حوض الفلغة غرب تتاريا . مساحتها ١٨٣٠٠ كم٢ وعدد سكانها حوالي ١,٥ مليون نسمة ، وصلها الإسلام عن طريق البلغار في القرن الرابع الهجري ، ثم عن طريق التتار والتجار المسلمين ، احتلها إيفان الرابع عام ٩٦٠ هـ / ١٥٥٣ م ، واتجهت إليها الإرساليات التبشيرية ودعمتها السلطة القيصرية ، وعُمّد جميع المسلمين بالعنف والإكراه وخاصة زمن الإمبراطورة حنة () . وعندما أعلنت حرية الأديان عام ١٣٢٣ هـ أعلنوا جميعهم الإسلام .

➢ أنشئت جمهوريتهم سنة ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م ، ومر المسلمون فيها بفترات من الاضطهاد والتشتت ، وتبلغ نسبتهم حاليا حوالي ٥٨ % .

➢ **٤- جمهورية إدمورث :** تشغل السفوح الغربية من جبال الآرال وانتشر الإسلام بين سكانها بجهور الباشكير والتتار ، ومساحتها ٤٢١٠٠ كم٢ و٦٠ % من سكانها مسلمون . احتلها الروس عام ٩٦٨ هـ / ١٥٦٠ م وحاولوا فصلهم عن جيرانهم المسلمين كي لا يتأثروا بهم ، وحرم عليهم بناء المساجد في قراهم . وأطلق عليهم الروس اسم الكلاب المختونين . ولما أعلنت حرية الأديان عام ١٩٠٥ م ظهرت في قراهم الإسلامية المساجد ، وجاءت الشيوعية تتمم ما بدأته القيصرية وأعلنوا بها جمهورية سنة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .

➢ **٥- جمهورية موردوف :** وتقع في الجنوب الغربي من الجوفاش تشوفانيا - في حوض الفلغة ، ومساحتها ٢٦٢٠٠ كم٢ ، وسكانها حوالي المليون نسمة وعاصمتها سارانسك ، ونسبة المسلمين فيها ٥٥ % وصلها الإسلام عن طريق الدعاة من البلغار ثم التتار .

➢ **٦-جمهورية ماري :** إحدى جمهوريات حوض الفلغة ، شمالي تتاريا والجوفاش . ومساحتها ٢٣٨٠٠ كم٢ ، وسكانها أقل من مليون نسمة ٦٠ % مسلمون وعاصمتها ماري . وصلها الإسلام عن طريق الباشكير والتتار .

➢ واحتلها الروس عام ٩٦٠ هـ / ١٥٥٣ م ، وأهملوها ، وساموا سكانها الاضطهاد . أعلنت جمهوريتهم في ظل الشيوعية سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٦٣ م .

➢ **٧- جمهورية شكالوف (اورنبرج) :** في حوض نهر آرال ، وتبلغ مساحتها ٢٣٨٠٠ كم٢ ، ويقدر عدد سكانها ٢ مليون نسمة ، ونسبة المسلمين ٥٣ % ، وقد وصلها الإسلام عن طريق الدعاة والتجار من التتار والقوزاق ، وعاصمتها أورنبرح (شكالوف) ومن مدنها الهامة أورسك ، وكلتاهما تقعان على نهر آرال .

➢ وتعد أورنبرج مدينة ذات ماضي إسلامي زاهر ، اشتهرت بالصناعة ، وبالكتب الدينية والتاريخية التي تبحث في تاريخ التتار . وقد عقد فيها المؤتمر الأول والثاني للقيرغيز (الكازاخ) سنة ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧ م .

➢ ٨-- **شبه جزيرة القرم :** القرم شبه جزيرة تمتد من البر الأوروبي في البحر الأسود شرقي أوروبا ، ويربطها باليابس برزخ ضيق في مالها تمر عبره خطوط المواصلات . وتحيط بها مياه البحر الأسود من الجنوب والغرب . وتبلغ مساحتها ٢٦١٥٠ كم٢ .وصلها الإسلام عن طريق التتار في عهد القبيلة الذهبية الذين استقروا في المنطقة عام ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م () وكانوا قسما من دولة المغول ، وبعد انحلال دولة المغول كونت القرم دولة تحت حكم أسرة كيراي منذ سنة ٨٣٦ هـ / ١٤٢٧ م ، وقويت ومدت نفوذها باسم الدولة العثمانية ، وبلغت قوتها أن إمارة موسكو دفعت لها الجزية السنوية في عهد السلطان محمد الفاتح .

➢ كيراي في النصف الأول من القرن العاشر الهجري ، بل هاجمت موسكو وانتقمت منها لما فعلته بالمسلمين التتار في البلاد الشرقية سنة ٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م . وحكموا مقاطعة الدونتز من روسيا الجنوبية ولكن الروس انتصروا عليهم ، وانتزعوا الأراضي الشمالية عام ١٠٩١ هـ / ١٦٨٠ م ، وهذا ما جعل العثمانيين ينزلون إلى شبه الجزيرة واتخذوا لهم مراكز في جنوبها ، وتسلموا مضيق (كرش) .

➢ جريدة عكاظ ١٢ ربيع الأول سنة ١٤٠١ هـ / يوسف ولي شاه اور الكيراي – كارثة القرم الإسلامية في الاتحاد السوفييتي ١٩٥٠ م الخانجي . ولما أصاب العثمانيين الضعف قام الروس بغزو شبه الجزيرة سنة ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م و ١١٥٠ هـ / ١٧٣٧ م و ١١٥١ هـ / ١٧٣٨ م ، واستولوا عليها نهائيا سنة ١١٩٢ هـ / ١٧٨٣ م . وأصدرت الإمبراطورة كاترين الثانية مرسوما أعلنت فيه ضم الإمارة

➢ **المسلمون في سيبريا :**

➢ يطلق اسم سيبريا على كل الأراضي الواقعة بين أوربا في الغرب والمحيط الهادي في الشرق ، وبين التركستان والصين في الجنوب والمحيط المتجمد الشمالي في الشمال . فهو إقليم واسع المساحة يبلغ ١٢٧٦٥٠٠٠ كم^{٢} وهو بارد ومتجمد تبلغ درجة الحرارة فيها ٥٠ درجة مئوية تحت الصفر ، وقد وصفها كثير ممن نفوا إليها : الحجيم البادر ، أو الزمهرير ، ويستخرج منها حاليا البترول والغاز الطبيعي والفحم الحجري ، بكميات كبيرة ، وهناك مناجم الذهب التي تحاول السلطات الشيوعية التكتم على هذه الثروة الصفراء . ورغم اتساعها هذا فليست لها جمهورية لها استقلال ذاتي كبعض الجمهوريات الأخرى ، بل هي إقليم يتبع جمهورية روسيا الاتحادية لتظل منفى لمعارضي السياسة الشيوعية وللمسلمين الذين نقلوا إليها قسرا .

➢ كانت سيبريا جزءا من الدولة المغولية التي أسسها باطو بن جنكيز خان ، وصلها الإسلام بواسطة الدعاة من أهل بخارى ، وقازان الذين شقوا طريقهم إلى تلك البلاد وعاشوا مع أهلها . ولما اعتنق المغول الإسلام وتحمسوا له أصبحت سيبريا بلادا إسلامية . وكون فيها المسلمون إمارة عاصمتها سيبير (تحريف من صابري) تولى أمرها أحد أمراء القبيلة الذهبية عام ٩٧٨ هـ / ١٥٧٠ م . وقد بذل الخان قصارى جهده ليدخل رعاياه في الإسلام ، وأرسل في طلب الدعاة والعلماء من بخارى ليساعدوه في مهمته التي لقيت كثيرا من النجاح .

➢ ولما زحف الروس شرقا تمكنوا من احتلال سيبريا الغربية ، ودخلوا سيبير عامة **كوتشم خان** عام ٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م ، وقد رفض الخان الاستسلام ، عندما عرض عليه الروس بعد أن انهار جيشه أن يقبل الاحتلال الروسي ويعيش ملكا تابعا لهم .

➢ وعلى الرغم مما لقيه المسلمون على أيدي الروس من اضطهاد فقد توالى قدوم الدعاة إلى سيبريا من بلاد ما وراء النهر وخاصة بخارى ومن قازان . فنشروا الإسلام بين قبائل التتار الضاربة بين نهري أوبي ورافده نهر أرتيش والتي يطلق عيلها إسم باريا عام ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥ م . فعمها الإسلام ، وأنشأ شعراؤهم قصائد تضم قواعد الإسلام وتحكي بطولات عظماء المسلمين الفاتحين المسلمون تحت السيطرة الشيوعية.

➢ وقد قامت بعض الحركات الإسلامية في سيبريا منها ثورة عام ١١٨٦ هـ / ١٧٧٣ م التي اضطرت القياصرة الروس لإرسال جيوش ضخمة لإخضاعها . وهناك مصدر آخر للدعوة الإسلامية في سيبريا تمثل الجماعات المسلمة الذين نفاهم الروس القياصرة أو السوفيت ، فلقد نقلوا مثلا الكثير من تتار القرم وحوالي مليون وثلاثمائة وخمسين ألفا من مسلمي آسيا الوسطى إلى سيبريا فدعم ذلك الإسلام .

➢ **المسلمون في بلاد القفقاس :**

➢ قفقاسيا هي البلاد الواقعة بين البحر الأسود وبحر الخزر شاملة جبال القوقاز وسفوحها الشمالية والجنوبية التي تعد الحد الفاصل بين أوربا وآسيا ، وقد ضمت هذه المنطقة مزيجا من الشعوب انصهرت فيما بينها واحتفظت الجماعات الحربية التي تحصنت بالجبال بلغتها وعاداتها وحافظت على كيانها وعرفت بالشجاعة والإقدام والقوة .

➢ وقد قامت في هذه الجبال حكومات محلية مثل حكومة **القوشحة** وسط المرتفعات عرفت في المصادر باسم حكومة اللان ، كما أسس الداغستان دولة في السفوح الشرقية للجبال أسماها المسلمون حكومة **السرير** ، كما أطلق المسلمون على الجبال اسم القبق والقبج والقبجوق والقفجاق منذ عهد الخلفاء الراشدين .

➢ **المسلمون في التركستان الغربية :**

➢ وهي بلاد ما وراء النهر الواقعة في حوض نهر أمودايا (جيحون) وسيرداريا (سيحون) في أواسط آسيا ، ومساحتها حوالي ٤ ملايين كم^{٢} ، ويسكنها حوالي ٤٥ مليون نسمة ، من القبائل التركية : القازاق والأوزبك والتركمان والقيرغيز والطادجيك ، وجاءتها موجات من الروس المستعمرين يحكمون المنطقة ويستثمرون خيراتها ويشددون قبضة حكومتهم على سكانها . وتسعة أعشار السكان من الأتراك المسلمين ومعظمهم من أهل السنة ، وبينهم ثلاثة ملايين شيعي يعيش أغلبهم في طاجيكستان ، كما يوجد حوالي ١٠٠ ألف إسماعيلي في هضبة بامير أتباع أغاخان ولهم اتصال بالهند .وقد دخل الإسلام هذه البلاد عن طريق الفتح والجهاد وأصبحت جزءا من ديار الإسلام إلى اليوم ، وأسهمت في مد الإسلام وفي الإنتاج الفكري الإسلامي .

➢ وعندما تولى قتيبة بن مسلم الباهلي أمر خراسان سنة ٨٨ هـ دخلت فتوح المسلمين في بلاد ما وراء النهر مرحلة جديدة وصلت فيها إلى الاستقرار ، فثبتت راية الإسلام في طخارستان وبخارى وحوض جيحون والصغد وولايات سيحون وسمرقند وطشقند . وبنى أول مسجد في بخارى عام ٩٤ هـ وتعد منارته من أهم الآثار الإسلامية الآن . وتأصل الإسلام وتجذر بفعل العلماء والدعاة ، وأصبحت البلاد تقوم بالدعوة إلى الإسلام ، وظهر فيها أئمة علماء الحديث كالبخاري والنسائي والترمذي والبيهقي ، كما ظهر فيها الإمام الطبري والزمخشري والنسفي من المفسرين ، وظهر منهم أئمة التأليف في البلاغة وإعجاز القرآن كالشيخ عبد القاهر الجرجاني وسعد الدين التفتازاني ويوسف السكاكي ، وأئمة الفلسفة مثل الفارابي والرئيس ابن سيناء ، وعلماء في الرياضيات والفلك ومنهم خالد بن عبد الملك مدير مرصد المأمون ، والجغرافي أبو زيد البلخي ، وغيرهم من العلماء.

➢ **سياسة روسيا القيصرية في بلاد الإسلام :**

➢ نشأت روسيا القيصرية نشأة استعمارية استيطانية صليبية تهدف الخروج من بلادها الباردة والوصول إلى البحار الدافئة : البحر الأسود والبحر المتوسط والمحيط الهندي . وقد سارت في هذه السياسة ببطء ودون تراجع ، واعتبرت نفسها وريثة القسطنطينية ونصبت نفسها حامية للمذهب الأرثوذكسي ، فأعلنت حربا صليبية سافرة وباركها البابا ، ومهما اختلفت هذه السياسة فإنها انصبت على محاربة الإسلام والمسلمين ، تلك السياسة التي افتتحها إيفان الرهيب حتى قيام الثورة الشيوعية عام ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧ م . ويمكن إجمالها في ما يلي :

➢ ١- - العمل على تنصير المسلمين بالإكراه : وخاصة في روسيا الأوروبية فكان إيفان الرابع يطلب من الأمراء المسلمين في حوض الفلغة إما أن يرتدوا إلى النصرانية أو الطرد والتصفية .

➢ ٢- - التهجير والإبادة : وقد تفنن القياصرة في أساليب تهجير المسلمين من مواطنهم بالتضييق عليهم بمختلف الوسائل ، فصادروا الأوقاف الإسلامية وطردوا علماء الدين من المدن وهدمت المساجد فقد هدم الروس ١٧٣٨ – ١٧٥٥ م ٤١٨ مسجدا من ٥٣٦ مسجدا في قازان وحدها . وأغلقوا المدارس القرآنية في روسيا الأوروبية كلها ، وأثقلوا المسلمين بالضرائب الباهظة وأجبروا على ممارسة أخس الوظائف وكان المسلم الذي يدعو للإسلام حتى بين إخوته المسلمين يحكم عليه بالإعدام وخاصة في عهد الإمبراطورة (حنه) (١٧٣٨ – ١٧٥٥ م ١١٥١ – ١١٦٩ هـ) وهذه تشبه سياسة ملوك إسبانيا إزاء المسلمين فيها . وهذا جعل هجرات المسلمين تتوالى ، كما أسهمت ثلاثة عوامل أخرى على التهجير وهي : أ- سياسة الترويس وخاصة تلك التي اتبعها نيقولا الثاني فاضطر خمسون ألف تتري مسلم إلى الهجرة إلى تركيا ومنذ اندلاع الحرب العالمية الأولى.

➢ ب- سياسة فرض أعمال السخرة وخاصة في الحرب العالمية الأولى فقد فرضت القوات الروسية على جميع المسلمين من سن التاسعة عشرة إلى سن الثالثة والأربعين القيام بأعمال السخرة في مؤخرة الجيوش الروسية وجماعة المرتدين (كرياشن) حيث طرد المسلمون إلى أماكن نائية ، فكان سيل الهجرة لا ينقطع من روسيا الأوروبية ثم القرم والقفقاس والتركستان .

➢ ج- كان الروس يصفون جسديا الأمراء والطبقات الواعية التي تأبى الذل والخضوع كما حصل لخيوه عندما قاومت الغزو الروسي وفي كثير من مناطق قازان ، وطرخان والقفقاس والقرم .

➢ ٣- الاستيطان الروسي في بلاد الإسلام : فقد صادرت روسيا أراضي المسلمين الخصبة في حوض الفلغة ومنحوها للنبلاء الروس ثم بعد ذلك للفلاحين القادمين من وسط روسيا والفارين من العبودية

➢ ويعتبر عهد كاترين ١١٧٦ – ١٢١١ هـ / ١٧٦٢ – ١٧٩٦ م من أكبر عهود القيصرية الروسية تسامحا مع المسلمين فقد منحتهم حق بناء المساجد والمدارس ، ومنع التنصير بالقوة كما منع اختطاف الأطفال وفصلهم عن أهاليهم بالقوة ، فشهد عهدها عودة التتار الذين أجبروا على التنصير إلى الإسلام ، وتحول كثير من القبائل الوثنية والنصرانية إلى الإسلام . ورغم هذا فقد ألحقت شبه جزيرة القرم بالإمبراطورية الروسية ، وصادرت أخصب أراضيها الصالحة للزراعة ووزعتها على عشاقها المفضلين ، (بونمكين وبولجاكون وزوبوف وزوتوف واليوناني كاتشيوني) فتدفقت أفواج المهاجرين الروس والأوروبيين على شبه الجزيرة ، وطرد المسلمون من أراضيهم الخصبة إلى الأراضي القاحلة في وسط شبه الجزيرة . فكانت هجراتهم الجماعية إلى تركيا .

➢ ٤- سياسة الترويس : عمل الروس على فرض لغتهم ومنعوا الكتابة بالحرف العربي وحولوه إلى الحرف الكيريلي الروسي . وساعدهم على ذلك جماعة المرتدين عن الإسلام (كرياشن) باعتبار القومية الروسية مرتبطة بالمذهب الأرثوذكسي . وفي عهد (إسكندر الثاني) أخذت الحملة على الإسلام طرقا مرنة وأكثر فاعلية في اجتذاب المسلمين بالدعاية فقد وضع المبشر الأرثوذكسي (نيقولا المنسكي) سنة ١٢٨٠ هـ / ١٨٦٣ م سياسة تعليمية جديدة بإنشاء دار للمعلمين خاصة بالتتار المتنصرين تدرس فيها العلوم باللغة التترية ، وترمي هذه المدرسة إلى تنشئة نخبة مثقفة بالثقافة الأوروبية تؤخذ من المرتدين فقط على أن يقوموا بعد ذلك من دون أن يقطعوا صلتهم بماضيهم بأعمال التبشير لدى إخوانهم الذين ظلوا مسلمين . وقام المبشرون من جهتهم بحملة شديدة على الإسلام تساعدهم منظمات أرثوذكسية متعددة .

➢ ٥-- العمل على إثارة القوميات والقبليات ، " سياسة فرق تسد " التي برع فيها المستعمرون جميعا . ورغم أن هذه السياسة مناهضة لسياسة الترويس فقد ركز عليها الروس في المناطق الإسلامية ، فعملوا على عزل تركستان عزلا تاما عن تأثير الحركات الإسلامية في البلاد الإسلامية فكتب الجنرال (كاوخمان) أول حاكم روسي على تركستان يقول : " على آسيا الوسطى أن تظل في حالة من الركود والتأخر كما في القرون الوسطى الأمر الذي لا بد أن يمنع في هذا الإقليم أي إمكانية للمقاومة الوطنية ضد الفاتحين " (. لذا فقد بذلت الإدارة الروسية جهدها ليظل المسلمون في حالة تأخر فدعمت العادات المنحرفة عن الإسلام ، ودعمت الجامدين للوقوف في وجه المصلحين من العلماء ، وشجعت المدارس القرآنية ذات الطابع التقليدي القديم وأبعدوها عن كل تأثير عصري .

➢ **مواقف المسلمين من روسيا القيصرية :**

➢ قام المسلمون بعدة ثورات متتابعة أهمها ثورة الباشكير سنة ١١٨٧ هـ وثورة أنديجان في تركستان سنة ١٨٩٧ م المتأثرة بالوهابية السلفية الداعية للجهاد .ولكنها فشلت وقمعت كما قمع غيرها من الثورات بمنتهى القسوة والوحشية ، وتحت الضغط الشديد وفي سبيل الوصول إلى بعض الحقوق الرئيسية ومن أجل تأمين بعض المصالح اليومية أو استلام بعض الأعمال الضرورية بل حتى من أجل الحصول على لقمة العيش أحيانا وتأمين التعليم في المدارس في كثير من الأحيان ، كانت جماعات كثيرة توافق البعثات التبشيرية وتقبل الانتساب للنصرانية ظاهرا وعلى المذهب الأرثوذكسي ، فتسجل في عداد النصارى وتتم عملية التعميد ، حتى ظنت الكنيسة الأرثوذكسية بعد مدة طويلة أن الأمر قد تم لها حسب ما تريد ، وأنه لم يعد هناك خوف من انتشار الإسلام ، وأبلغت ذلك إلى القيصرية .

➢ فقامت روسيا بتصفية جميع الجمعيات الإسلامية التي تكونت مثل حركة الاتفاق الإسلامي ، وحركة بيريك ، وحركة تانغ تشيلا ، وحركة ملي فرقة . وألغت روسيا الحرية الدينية ، ولكن المسلمين واصلوا انتعاشهم . فرغم ظروفهم السيئة فقد حافظوا على إسلامهم ولغاتهم ، بل وظهرت نهضة ثقافية فانتشرت المدارس والمساجد في المناطق التتارية . ففي مدينة أوفا عاصمة بشكيريا كان بها ١٥٥٥ مسجدا و٦٢٢٠ مدرسة عام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م ، ومع بداية القرن العشرين كان في قازان جامعة إسلامية تضم سبعة آلاف طالب ومطبعة إسلامية طبعت وحدها ٢,٥ مليون نسخة من ٢٥٠ كتابا ، بالإضافة إلى وجود مكتبة إسلامية يزورها عشرون ألف قارئ في السنة ، كما وجد فيها ٧٠٠ مسجدا وكما يقول بنجسن ولومرسييه .

➢ **سياسة روسيا الشيوعية في بلاد الإسلام :**

➢ نشط المسلمون نشاطا ملحوظا في الحرب العالمية الأولى واعتبروها فرصة للاستقلال ، ولذلك أيدوا الحركة الاشتراكية الشيوعية التي أطاحت بالقيصرية الروسية عام ١٩١٧ م / ١٣٣٥ هـ بزعامة لينين .

➢ بدأ لينين سياسته في روسيا بإطلاق **حرية الأقليات** التي اضطهدها القياصرة كجزء من سياسة تجميع القوى ، وكسب التأييد للحزب الشيوعي الحاكم ، وأصدر وعودا مبهمة لهذه الأقليات (، رأى فيها المسلمون وعودا غير مشروطة بالانفصال عن روسيا . كما وجه لينين ، وستالين (الذي كان مفوضا لشئون القوميات بعد نجاح الثورة نداء إلى جميع المسلمين في روسيا سنة ١٩١٧ م.

➢ واتبعت الشيوعية أسلوب التهجير من المناطق الإسلامية وإليها لإضعاف شأن الأغلبية المسلمة وليصبحوا أقلية في عقر دارهم .

➢ كما عمد الشيوعيون **لأساليب الإبادة** ، فأباد الشيوعيون خلال خمسين عاما ٢٠ مليون مسلم ، وقد ثبت بالإحصاءات الروسية أن ستالين وحده قتل ١١ مليونا (ويكفي أن نذكر النماذج التالية من عمليات الإبادة التي مارسها الروس والنفي إلى مجاهل سيبريا :

➢ ففي عام ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٤ م أصدر ستالين أمره بسبي جميع السكان في الشاشان ونفيهم إلى سيبريا ، وألغى جمهوريتهم ووزع أراضيها على جمهورية جورجية .

➢ ونفى من قبل الشعوب الإسلامية من القرم وأنغوشيا ، وشعوب القابرديار والبلكار ، واستقدم الألوف المؤلفة من السلاف والأوكران والروس وشحن بهم أذربيجان ، وتركستان والقرم .

➢ وعمد الشيوعيون إلى أسلوب السخرة لإذلال المسلمين وهو نظام يتيح للدولة تجنيد الألوف المؤلفة من العمال والفلاحين للكدح في كل شيء دون مقابل ، أو مقابل كسرة خبز وكسوة تواري ما تيسر من الجسم

➢ طلع غورباتشوف على العالم ببرنامجه (البروسترويكا) بين فيه قصور وعجز النظام الماركسي ، وأوضح فيه عزمه على إحداث ثورة حقيقية في بلاده في جميع المجالات ، وشرع في إحلال نظم وأساليب وممارسات جديدة في العمل والإدارة والتربية والسياسة والإقتصاد والإعلام في الاتحاد السوفييتي . وأطاح برؤوس الماركسيين من النظام السابق مثل جروميكو وأبعد ٦٩ % من وزراء الاتحاد . وأعلن الإنفتاح ، فأخذت الماركسية تتهاوى ، بدءا بملكية وسائل الإنتاج للدولة وتحريم ملكيتها على الفرد حيث أعطى قانون القطاع الخاص الجديد الفرد حق إنشاء مشروع خاص وحق إنشاء مشروع خاص وحق إنشاء تعاونيات بين مجموعة من الأسر . وألغى النظام الزراعي الجماعي الذي أسسه ستالين بعد أن بان فشله ووضح . وهذا يثبت عجز النظريات البشرية وقصورها مع ما حاول أصحابها من وضع الهالات عليها . وثبات القوانين الإلهية . فإلى دور الإسلام !

➢ وعلى كل فالمستقبل للإسلام إن شاء الله . فعدد المسلمين في الإتحاد السوفييتي كبير ، ويمكن أن يصل عام ٢٠٠٠ م إلى ثلث عدد سكان الإتحاد وهو أمر تخافه السلطات السوفييتية وتعمل على تطويق مضاعفاته . وقد وصل عددهم عام ١٩٨٥ م / ١٤٠٥ هـ إلى ٦٥ مليون نسمة . والخطر الحقيقي على الشيوعية منبعه الولاء الذي يكنه المسلمون لإخوانهم في خارج الإتحاد السوفييتي واعتبار أنفسهم جزءا من العالم الإسلامي الكبير ومن (الأمة الإسلامية) رغم ما أصاب النشء من انحراف وبعد عن مبادئ الإسلام السمحة وعن ثقافة الإسلام وينابيعه ، فهم ينظرون إلى الروس المستوطنين بينهم نظرتهم إلى أجانب أوربيين مستعمرين . ثم وجود فكرة الجهاد التي تظهر بين الحين والآخر.